

خطبة الجمعة - الخطبة ٠٨٤٦ : محاكمات الكتاب ١.

لضييلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٢-٠٨-٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمدك، ونستعين به ونسترشدك، وننحوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلن تجد له ولينا مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإرغاماً لمن جحد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صل وسل وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين. اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنها، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

المحاكمات أصول ثابتة و ينبغي أن تكون محل اتفاق :

أيها الأخوة المؤمنون: عقب الخطبة السابقة سألني أحد الأخوة وكانت الخطبة عن عالمية الإسلام وعن عولمة الغرب، قال: كيف تقول عالمية الإسلام والمسلمون مختلفون فيما بينهم؟ كيف يكون دينهم على مستوى العالم وهم ليسوا على اتفاق في البلدة الواحدة؟ فكان الرد على هذا السؤال هذه الخطبة.

أيها الأخوة المؤمنون: في الدين شيء اسمه محكم، المحكم محفوظ ولا يمكن تغييره ولا تبديل، ليس بمنسوخ، ثابت لا يتغير ولا يبدل، واضح، بين، مفسر، لا خلاف فيه، ولا غموض، ولا خفاء.

أيها الأخوة الكرام: هذا المحكم وجمعه محكمات هو الذي ينبغي أن يجتمع عليه المسلمين، هذه المحكمات أصول ثابتة، مراجع يرجع إليها، يعاد إليها كل ما خرج منها، يتفرع عنها أشياء كثيرة، هذه المحكمات هي التي ينبغي أن تكون محل اتفاق وليس غيرها.

أيها الأخوة الكرام: لقد أجمع الصحابة رضي الله عنهم، وأجمع السلف الصالح على وجوب عبادة الله، وعلى تحريم الكفر والشرك والنفاق، وعلى تحريم الظلم والربا والفواحش، وأجمعوا على أركان الإسلام الخمسة المعروفة، وأصول الإيمان الستة المعروفة، وأجمعوا على منهيات ثابتة كحديث السبع الموبقات، واتفقوا على ما تتحقق به مصالح المسلمين، المحافظة على الدين، والمحافظة على النفس والعرض والمال والعقل.

أيها الأخوة الكرام: هذه الأمور متفق عليها من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم وإلى قيام الساعة، هذه الأمور ليست محل اختلاف، هذه تجمعنا ولا تفرقنا، توحدنا ولا تفرقنا، تجمع قوانا ضد أعدائنا، فما لم يكن في الإنسان حد أدنى من الإخلاص لهذا الدين، وما لم يكن في الإنسان حد أدنى من حمل هموم المسلمين، وما لم يكن في الإنسان حد أدنى من الغيرة على هذا الدين فهو يشق جماعة المسلمين.

الصحابة الكرام والسلف الصالح والعلماء العاملون وأولياء الله الصالحون مجمعون على هذه الأصول، وهي ليست محل نزاع ولا اختلاف، إنها واضحة وثابتة ولا تتبدل ولا تتغير ولا تعدل ولا يطرأ عليها شيء من كل ذلك.

آيات من المحكمات المتفق عليها :

أيها الأخوة الكرام: كما قلت قبل قليل المصالح الخمسة التي جاءت في هذا الدين، والتي علمت منه بالضرورة الحفاظ على الدين، والحفاظ على الأنفس، والعقول، والأعراض، والأموال، بهذه المقاصد الخمسة تتحقق مصالح المسلمين في الدنيا والآخرة.

إليكم الأدلة: عن عبد الله قال:

(من سرّه أن ينظر إلى الصّحيفَةِ التّي عَلَيْهَا خَاتَمُ مُحَمَّدٍ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَيَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَاتِ
[قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ [الآلية إلى قوله [لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ]])

[الترمذني عن عبد الله]

هذه الآيات من المحكمات المتفق عليها.

عن كعب الأحبار أنه قال: كان أول ما نزل من التوراة عشر آيات هي العشر التي أنزلت في آخر سورة الأنعام والتي تسمى عند أهل الكتاب بالوصايا العشر، وهذه الوصايا العشر في القرآن الكريم .

أيها الأخوة الكرام: شيء آخر، قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن في الأنعام آيات محكمات هن أم الكتاب ثم قرأ: (قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ) وفي سورة الإسراء آيات محكمات سأتو عليكم بعضها:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَاهُ وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغُنَّ عِنْدَكُمُ الْكِبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا
تَقْلِيلٌ لَهُمَا أَفِّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذِّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ
أَرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَنِي صَغِيرًا * رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلَّهِ أَوْلَابِينَ
غَفُورًا * وَأَنَّ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمُسْكِينُ وَابْنُ السَّبِيلِ وَلَا تَبْدِرْ تَبْدِيرًا * إِنَّ الْمُبْتَرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ
الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوْهَا فَقُلْ
لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا * وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنْقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدْ مَلُومًا مَحْسُورًا
* إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِيَادِهِ خَيْرًا بَصِيرًا * وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ

خُشِيَّةٌ إِمْلَاقٌ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَاتِلَهُمْ كَانَ خَطَّافًا كَبِيرًا * وَلَا تَقْرِبُوا الزَّنَنَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً
وَسَاءَ سَبِيلًا * وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ إِلَيْهَا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلَيْهِ
سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا * وَلَا تَقْرِبُوا مَالَ الْيَتَيمِ إِلَيْهِ بِالْتَّيْمَةِ هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى
يَبْلُغَ أَشْدُهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْتُولًا * وَأَوْفُوا الْكِيلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنَوْا بِالْقِسْطَاسِ
الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا * وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ
أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتُولًا * وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرُقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ
طُولًا * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئَةً عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٤﴾

[سورة الإسراء: ٣٨-٣٩]

أيها الأخوة الكرام: وهذا المقطع من سورة الإسراء فيه محكمات الدين.

المحكمات التي اتفق عليها الصحابة الكرام :

لو صنفنا الآيتين في بنود عشرة أولاً: وجوب عبادة الله، وتحريم الشرك به، وجوب بر الوالدين والإحسان إليهما، وجوب حفظ النفس وتحريم القتل بغير حق، تحريم الفواحش ما ظهر منها كالزنى والخمر، وما بطن كالكبر والحسد والبغى، وحفظ المال وأداء الحقوق فيه للمحتاجين، ومن ذلك عدم العداوة على مال اليتامي وغيرهم، ووجوب الوفاء بالعهد والميثاق سواء كان عهداً مع الله تعالى أو عهداً مع خلقه، ووجوب العدل، وهذا من أعظم الأصول في الأخلاق والأعمال، ووجوب الوزن بالقسط.

﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾

[سورة الرحمن: ٩]

تحريم الكبر، وتحريم الأخلاق المذمومة بعامة، والأخلاق المذمومة تعرف بالشريعة وبالعقل وبالفطرة، وجوب اتباع صراط الله المستقيم وتجنب السبل المضلة.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَبَعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾

[سورة الأنعام: ١٥٣]

ترك الإنسان ما ليس له به علم، واستشعار الإنسان المسؤولية عن السمع والبصر والفؤاد واللسان.

﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْتُولًا﴾

[سورة الإسراء: ٣٦]

هذه المحكمات التي اتفق عليها الصحابة الكرام، والسلف الصالح، والعلماء العاملون، وأولياء الله الصالحون، ليست محل خلاف محل اتفاق، لأنها ظاهرة واضحة بينة لا تتبدل، ولا تتغير، ولا تعدل، من كان في قلبه حد أدنى من الإخلاص لهذا الدين يجتمع مع إخوانه من آية فئة على هذه المحكمات، عندئذ يصبح الإسلام عالمياً، أما إذا أخذنا الشبهات والفروع والوسائل وجعلناها أصولاً وكفينا من يخرج عنها وقاتلنا من أجلها يصبح المسلمين ممزقين في البلد الواحد، في

القرية الواحدة، في الجماعة الواحدة، في المسجد الواحد، البطولة أن يبقى الأصل أصلاً والفرع فرعاً، أن يبقى الهدف هدفاً، والوسيلة وسيلة.

بناء الوحدة الأخوية للمسلمين ضمان لديمومتها واستمرارها :

أيها الأخوة الكرام: ما الذي يحصل؟ كثير من الناس ينهمكون في إبداء رأي في كل قضية، وهم ليسوا مؤهلين لهذا إما بحكم حداة سنّهم، أو قلة فقههم، أو قلة الاطلاع على تفاصيل هذه القضية، أو الانشغال بما هو أهم منها، وهذا الرأي يدعونه من أصول الدين، وكل من خرج عليه يتهمونه بالخروج من الدين، عنده تنشأ هذه الفتنة التي ترونها كل يوم.

يقول بعض كبار العلماء: الرسل كلهم متفقون في الدين الجامع في الأمور الاعتقادية والعلمية، كالإيمان بالله تعالى والملائكة والنبيين، وكذلك في الأصول العملية للأعمال المذكورة في سورة الأنعام، هذا من الدين الجامع الذي اتفق عليه الرسل جميعاً عليهم الصلاة والسلام.

يا أيها الأخوة الكرام: حقيقة خطيرة ألي بها: إن بناء الوحدة الأخوية للمسلمين بعامة والدعاة وطلاب العلم وخاصة على هذه المحكمات الكبار من أصول الشريعة ضمان لديمومتها، واستمرارها، وحمايتها من التصدع، والانشقاق، والانهيار، هذه المسائل واضحة لا لبس فيها، هي أصول وقواعد يرد إليها غيرها، وهي أيضاً ثابتة مستقرة لا مجال للخلاف أو التردد أو الشك أو الطعن فيها، فلا يمكن أن تمضي علينا سنوات ونقطع جزءاً من الطريق ثم نعود أدراجنا لنجادل في هذه المحكمات أو الثوابت أو القواعد، فينشق منها مجموعة تخالف في أصل أو ثابت وهذا يعد نوعاً من الضلال، حينما تجتهد فيأتي اجتهادك مخالفًا لأصل من أصول الدين هذا هو الضلال بعينه، حينما تجتهد في مورد النص، فيأتي اجتهادك مخالفًا في أصل من أصول الدين هذا هو الضلال بعينه، وهذا هو الذي يفرقنا، ويشتتنا، ويشرذمنا، ويضعفنا، يجعلنا نسقط أمام أعين الآخرين، لسنا متفقين.

والله أيها الأخوة: في أي بلد زرته مشكلات المسلمين في شرقهم مكبرة في غربهم ! هذا الإنسان لا يصل إلى هذا المسجد، وهذا لا يصل إلى في هذا المسجد، ولا يمكن أن يتلقوا على بدء رمضان إطلاقاً، يبدأ رمضان في بعض البلاد الغربية في ثلاثة أيام، كل فريق في يوم، المشكلة كبيرة أيها الأخوة أنهم لم يتلقوا على الأصول، جعلوا الفروع أصولاً، والوسائل غایيات فاختلقو، واعتدوا باجتهادهم، وألغوا الطرف الآخر، فنشأت الخصومات.

من جعل الفرع أصلاً هدم كيان الدين وشقّ صفوف المسلمين :

أيها الأخوة الكرام: لا يمكن أن يكون هناك وحدة إيمانية راسخة ثابتة مستقرة لا تتغير بالمتغيرات، والمتفقون عليها بمحنة من الخلاف الذي يحدث بين المسلمين، والخلاف الذي يحدث

الفرقة والانشقاق، بينما بناء الوحدة على غير هذه الأسس لا يمكن إلا أن يتتصدع، أخطر شيء في هذه الخطبة أنت حينما تجعل فرعًاً أصلًاً وتجعل وسيلة هدفًاً، وحينما تأتي بجزئية في الدين فتجعلها من أصول الدين وتقاتل من أجلها وتکفر من خالفك بها، أنت عندئذ ت THEM في هدم كيان الدين، وفي شق صفوف المسلمين.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَةً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾

[سورة الأنعام: ١٥٩]

ولا تكون من المشركين، ما هو هذا الشرك؟

﴿الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعَةً﴾

[سورة الأنعام: ١٥٩]

أخذ فرعًاً وجعله أصلًاً، وقاتل من أجله.

أيها الأخوة الكرام: هناك رغبة عجيبة المسلم أحياناً لحالة مرضية يرغب أن يتميز عن بقية المسلمين، فلا بد من أن يبتعد شيئاً، ويكبره، ويضخمه، و يجعله محور حديثه، لذلك هناك دعاء إلى الله مخلصون من خصائصهم الابتعاد، وتقدير ما عند الآخرين، والنزعية المسالمة، وهناك دعاء إلى الله من خصائصهم الابتعاد، لأن دعوتهم هي دعوة إلى الذات في حقيقتها، دعوة إلى الذات مغفلة بدعوة إلى الله، لذلك لا بد من أن يبتعدوا، ولا بد من أن يكروا ما ابتدعوا، ولا بد من أن يجعلوا الذي ابتدعوه أصلًاً من أصول الدين، ولا بد من أن يشقوا صفوف المسلمين، ولا بد من أن يلقوا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيمة، هؤلاء يدعون إلى ذواتهم وليس إلى الله، عندهم رغبة في التعلی والتقوی واحتقار ما عند الآخرين.

الدعاة صنفان :

الدعاة إليها الأخوة فيما أرى صنفان دعاء إلى الله يدعون إلى ذواتهم دون أن يشعروا، فمن أجل أن يتميزوا لا بد من أن يبتعدوا، ولا بد من أن يصرروا على ابتعادهم، ويفسقوا، ويشركوا، ويکفروا من خالفهم، هؤلاء سبب بلاء الأمة! لأنهم شقوا صفوفها ودعوا إلى ذواتهم، وكان الخلاف مع غيرهم خلاف حسد وبغي.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْتَهُمْ﴾

[سورة آل عمران: ١٩]

وهناك دعاء إلى الله مخلصون، دعاء إلى الله حقيقة لأنهم مخلصون لم يبتعدوا اتبعوا، وأنهم اتبعوا لم يتميزوا، فرغبة الداعية أو طالب العلم أن يتميز عن مجموع المسلمين رغبة مرضية، هو مريض نفسياً ينبغي أن يعالج نفسه.

أيها الأخوة الكرام: لو أن المجموع يعتقدون في بدعة، وأنتم معافي منها فلا بد من أن تتميز عليكم، هذا التمييز لا يعني كبيراً ولا عجرفة ولا استعلاء، بل يعني أنك متمسك بكتاب الله وسنة

رسوله، قد تتميز عن دون قصد منك، أو من دون كبر أو استعلاء، قد تتميز لأنك متبع للكتاب والسنة.

أيها الأخوة الكرام: حقيقة أدلّي بها، كل من عمل في حقل الدعوة حينما يتبع منهج النبي الداعي، النبي له منهج واسع جداً أفعل ولا تفعل، لكن له منهاجاً في معاملة أصحابه، في إلقاء العلم وتربية أصحابه، هذا أسميه المنهج الداعي، أي داعية حينما يتبع منهج النبي في دعوته يتّالى ويفلح وينجح ويسمو، وأي داعية يخالف منهج النبي الداعي يثير حوله جدلاً لا ينتهي ليوم القيمة، أقول جدلاً لأنّه مخطئ.

نماذج من الاختلاف الاجتهادي :

أيها الأخوة الكرام: لو رجعنا إلى القرآن يقول الله عز وجل في قصة موسى عليه السلام: لما ذهب موسى إلى ربه وترك أخاه هارون مع قومه وقال له: أخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين، فبعد بنو إسرائيل من بعد موسى عجلًّا واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلًّا جسداً له خوار، فنهاهم هارون عن ذلك، وقال لهم: إنما هذا من الشيطان وإنما فتتم به، وأمرهم باتباع موسى عليه السلام، ولكنه بقي معهم، فلما جاء موسى عليه السلام ورأى ما رأى غضب وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره، وعاتبه على ذلك قال:

﴿قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَا تَتَبَعَنَّ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾

[سورة طه: ٩٣-٩٢]

فكان موسى يعتب على هارون، ويطالبه بموقف آخر مختلف غير الذي فعل يقول له هارون:

﴿قَالَ يَا ابْنَ أَمِّ لَآ تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾

[سورة طه: ٩٤]

أي أنا نظرت إلى الموضوع من زاوية ثانية، رأيت ألا أفرق هؤلاء، وأن أبقى معهم، حتى تعود وترى فيهم رأيك، وأمرك، ولهذا قال قتادة عند هذه الآية: قد كره الصالحون الفرقة قبلكم . فهارون عليه الصلاة والسلام كان مأخذة الحرص على بقائهم واجتماعهم حتى يأتي موسى، فيعالج الأمر بما يراه، مع أنه بذل لهم النصيحة والواسع، هذا نموذج من الاختلاف الاجتهادي، لم يختلفوا في الأصول بل في الوسائل، لسيدينا موسى اجتهاده ولسيدينا هارون اجتهاده وكلاهما في أعلى مستوى عند الله عز وجل .

أيها الأخوة الكرام: في سورة الكهف أيضاً اعترض موسى على الخضر ثلاثة قال:

﴿قَالَ أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِي أَهْلَهَا﴾

[سورة الكهف: ٧١]

﴿قَالَ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾

[سورة الكهف: ٧٤]

وَبَيْنَ لِهِ الْخَضْرُ بَعْدَ ذَلِكَ سَرْ مَا رَأَاهُ مُحْتَاجًاٌ بِالْوَحْيِ قَالَ:
﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾

[سورة الكهف: ٨٢]

هذا درس عظيم لأن سيدنا الخضر أُوتى العلم التكويني وسيدنا موسى أُوتى العلم التكليفي، فحينما عرض سيدنا موسى ما فعله الخضر على علمه التكليفي وجده مخالفًا فاعتراض، يمكن أن يكون هناك خلاف بين المسلمين وهم في أعلى درجة عند الله عز وجل، اختلاف في اجتهادهم فقط وفي رؤيتهم فقط وفي التحليل والفروع والوسائل، لكنهم جميعاً متتفقون على الأصول.

أيها الأخوة الكرام، عن عبد الله قال: لما كان يوم بدر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما تقولون في هؤلاء الأسرى؟ قال: فقال أبو بكر: يا رسول الله قومك وأهلك استبقوهم واستأن بهم لعل الله أن يتوب عليهم، قال وقال عمر: يا رسول الله أخرجوكم وكذبواكم قربهم فاضرب أعناقهم، قال وقال عبد الله بن رواحة: يا رسول الله انظر واديا كثيرا الحطب فادخلنهم فيه ثم أضرم عليهم نارا، قال فقال العباس: قطعت رحمك، قال: فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يرد عليهم شيئاً، قال فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس يأخذ بقول عمر، وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن رواحة، قال فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن الله ليئن قلوب رجال فيه حتى تكون ألين من اللبن، وإن الله ليشد قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة، وإن مثلك يا أبي بكر كمثل إبراهيم عليه السلام قال (من تبعني فإنّه مني ومن عصاني فإنّك غفور رحيم) ومثلك يا أبي بكر كمثل عيسى قال (إن تعبدهم فإنّهم عبادك وإن تغفر لهم فإنّك أنت العزيز الحكيم) وإن مثلك يا عمر كمثل نوح قال: (ربّ لَا تذر على الأرض من الكافرين دياراً) وإن مثلك يا عمر كمثل موسى قال رب (اشد على قلوبهم فما يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم .))

[أحمد عن عبد الله]

اختلف الصحابة اختلف اجتهاد، متتفقون في الأصول، الاختلاف بين المسلمين جزء من طبيعتهم، بل إن الاختلاف بين الناس جزء من الناس لأنهم مخيرون.

﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾

[سورة هود: ١١٩-١١٨]

اختلاف السلف الصالح في الفروع لا في الأصول :

أيها الأخوة الكرام: ينبغي أن نعي هذه الحقيقة بدقة بالغة، السلف الصالح مثلاً متتفقون على أن الصلاة ركن من أعظم أركان الإسلام، وأن من جحد وجوبها فهو كافر قطعاً، لكنهم مختلفون في صفة الصلاة، وتفاصيلها، وبعض شروطها وواجباتها، وفي حكم تاركها، فلا يجوز أن تحول نقطة من هذه النقاط إلى محل وحدة، وأن الخلاف فيها يفضي إلى فرقه وتتازع وتحزب واتهام

وتکفیر وتبدیع وتشریک، اتفق السلف الصالح علی أن الصلاة من أعظم أركان هذا الدين، ومن تركها جحوداً بفرضيتها فقد کفر، لكنهم اختلفو علی صفاتها وتفاصيلها وجزئياتها ومن تركها تهانواً أھو کافر أو فاسق؟ اختلاف في الفروع لا في الأصول.

شيء آخر أيها الأخوة: السلف الصالح رضوان الله تعالى عليهم متفقون علی ربانية هذا القرآن، وأنه من عند الله، ومنزل غير مخلوق، متفقون علی مرجعية القرآن ولكنهم يختلفون في تفسير آية هل هي محكمة أم منسوبة؟ يختلفون في بعض الحروف القراءات الواردة في القرآن، بماذا اختلفوا؟ بالفروع والوسائل، السلف الصالح متفقون علی مرجعية السنة النبوية.

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾

[سورة الحشر: ٧]

ولكنهم اختلفو في تصحيح حديث أو تضعيفه، أو الجمع بين الأحاديث التي في ظاهرها التعارض، ويختلفون في فهم بعض النصوص، وهذا يجري عادة بين كل شرائح الأمة. أيها الأخوة الكرام: الحقيقة الدقيقة أن الخلاف يكون في الوسائل وليس في المقاصد.

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُوَعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾

[سورة النحل: ١٢٥]

يتفق علماء المسلمين في كل بقاعهم وأزمانهم على وجوب الدعوة إلى الله، هناك من يدعو فيؤلف القلوب، وهناك من يدعو فيؤلف الكتب، وهناك من يسافر فيحضر المؤتمرات، وهناك من يستخدم الأجهزة الحديثة في الإعلام، وهناك من يستخدم الإنترنت، هذه كلها وسائل قد نختلف في جدواها، أو في ضرورتها، أو شمولها، أو فائدتها، ولكن مجموع الأمة متفق على وجوب الدعوة إلى الله.

أيها الأخوة الكرام: حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبو، وزنووا أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنأخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هوها، وتمنى على الله الأماني.

* * *

الخطبة الثانية :

أشهد أن لا إله إلا الله ولی الصالحين، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، صاحب الخلق العظيم، اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمة معالجة الموضوع في خطبة لاحقة :

أيها الأخوة الكرام: للموضوع تتمة مهمة جداً سأرجئها إلى خطبة قادمة لثلاً أعالجها وأنا أشعر أنني أطلت عليكم، قد تأتي المعالجة غير متينة، لذلك أرجئ بقية الموضوع إلى خطبة قادمة إن شاء الله تعالى.

اللهم اهدا فیمن هدیت، وعافنا فیمن عافت، وتولنا فیمن تولیت، وبارك لنا فیما أعطيت، وفنا
واصرف عنا شر ما قضیت، فإنك تقضي بالحق ولا يقضی عليك، وإنك لا يذل من ولیت ولا
يعز من عادیت، تبارکت ربنا وتعالیت، ولک الحمد على ما قضیت، نستغفرك وننوب إلیک، اللهم
أصلح لنا دیننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دینانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي
إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب
العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، اللهم لا
تؤمنا مكرك، ولا تهلك عنا سترك، ولا تنسنا ذكرك يا رب العالمين، اللهم صن وجوهنا باليسار،
ولا تبذلها بالإقتار، فسائل شر خلقك، ونبتلى بحمد من أعطى ودم من منع، وأنت من فوقهم ولی
العطاء، وبيده حدرك خزائن الأرض والسماء، اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم، فأقرر
أعيننا من رضوانك يا رب العالمين، اللهم ما رزقناه نحب فاجعله علينا لانا فيما تحب، وما
زويت عنا مما نحب فاجعله فراغاً لنا فيما نحب، اللهم بفضلك ورحمتك أعل كلمة الحق والدين،
وانصر الإسلام وأعز المسلمين وأذل الشرك والشركين، اللهم دمر أعداءك أعداء الدين، اللهم وفق
شتت شملهم، واجعل تدميرهم في تبیرهم، واجعل الدائرة تدور عليهم يا رب العالمين، اللهم وفق
ولاة المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها لما تحب وترضى، يا رب العالمين، إنك على ما
تشاء قادر، وبالإجابة جدير.

والحمد لله رب العالمين